

عنوان المداخلة:

المعالم السياحية و التعددية الثقافية في الصحراء
منطقة إيليزي أنموذجاً

تقديم: د/ رضا عامر ود/ نسيمه كرييع

أستاذان محاضران (أ)

المركز الجامعي - عبد الحفيظ بو الصوف - ميلة.

اسم ولقب المشارك: رضا عامر + نسيمه كرييع

الجنسية: جزائرية.

ولاية الإقامة: ولاية - ميلة.

الدرجة العلمية: أستاذان محاضران صنف (أ).

الجامعة: المركز الجامعي - ميلة (الجزائر) ..

التخصص العام: أدب عربي.

التخصص الدقيق: الأدب العربي الحديث والمعاصر.

الهاتف : 0657638743.

البريد الإلكتروني : azorida12@gmail.com

* - الملخص:

مازال الفلكلور يؤدي دوراً هاماً في التماسك الاجتماعي لكلّ البيئات المحلية الجزائرية، وخاصة في جنوب الصحراء، لما يقوم به من خلق لجوّ الفرجة السياحية للعديد من المناطق الجنوبية خاصة منطقة إيليزي وبالأخصّ عند قبائل التوارق في منطقة التاسيلي ناجر، و لو أنّ هذا التراث السياحي والثقافي استثمر بشكل ذكي من طرف وزارة السياحة، ووزارة الثقافة لكان دافعاً قوياً في بناء قطب سياحي ضخم من شأنه المساهمة بشكل لافت في تنمية هذه المناطق الجنوبية والقضاء على العديد من المظاهر المشينة، والتي أثرت عليها سلباً؛ من بطالة وفقر ونزوح نحو مناطق الشمال، وسياسة تفريغ الصحراء الجزائرية من سكانها الأصليين، وبذلك تكون قبلة للسياحة الداخلية والخارجية على السواء لو توفرت الإرادة السياسية في ذلك وجعلت منها مورداً للعملة الصعبة والمساهمة في تطوير الاقتصاد الوطني.

Summary :

The Folklore continues to play an important role in the social cohesion of all Algerian local environments, especially in Saharan Africa, for the creation of a touristic atmosphere for many southern regions, especially the **Elizi région**, especially the Tuareg tribes in the **Tassili-Nagar** region. And the Ministry of Culture was a strong motivation to build a huge tourist pole that would contribute significantly to the development of these southern regions and eliminate many of the manifestations of the disgrace, which affected negatively; from unemployment and poverty and displacement to the regions of the north, and the policy of unloading the The Sahara of Algeria from its original inhabitants, and thus be a Destination Internal and foreign tourism if the political will in that and made them a resource for hard currency and contribute to the development of the national economy.

* - مدخل:

لقد أدى الفلكلور دورًا هامًا في الحفاظ على التراث الإنساني عبر العصور التاريخية، حيث قدم الكثير من مظاهر التوثيق بعدما بدأ الكثير من الباحثين في الأنثروبولوجيا في عملية جمع التراث الإنساني المادي واللامادي عبر العديد من الأقطار الغربية والعربية من أجل الحفاظ بشكل كامل على ذلك التراث من الضياع والنسيان الذي قد يذهب بالكثير منه لعدم التمكن من الوصول إليه، أو توصيله إلى بقية المجتمعات الإنسانية بغرض التعريف به أو دراسته كمنتج فكري بشري بطريقة ما، وعليه نجد علم الفلكلور قد واجه عدة مترادفات مصطلحية جعلت منه مادة فكرية يصعب جمع شائتها لكونها كثيرة التشعب والتعدد بين المفكرين والنقاد الشعبيين والأنثروبولوجيين بشكل أكثر دقة.

وقد زاد هذا التابين بشكل ملحوظ بين المفكرين لكونه "لا يقتصر على إلغاء الضوء على تاريخ ثقافة معينة، إنما هو يساهم علاوة على ذلك في تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة"⁽¹⁾، وهذا الإشكال ساهم بشكل مباشر في هذا التعدد الاصطلاحي من جهة، وصعوبة تحديد التراث الذي يشمل الفلكلور لكون التراث العربي متعدد الأوجه وما يصلح في الفلكلور الغربي ليس بالضرورة صالح للتجسيد على الفلكلور العربي، وعليه قام العديد من علماء الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والإيكولوجيا بالبحث بشكل دقيق ومفصل عن كل ما هو متعلق بالفلكلور وطرق دراسته، وفي النهاية علينا أن نغربل تراثنا الشعبي لنحافظ على ما هو رقيق منه وننميّه، ولنقاوم ما هو منحط منه، ونعمل على إبادته بحيث لا يبقى منه إلا نماذج للمتاحف والسجلات التي تعين الباحث العلمي في تاريخ الثقافة"⁽²⁾، وهذا الأمر في الحقيقة يتطلب تضافر كل جهود الطبقات الاجتماعية الغيرة على فلكلورها الشعبي المادي واللامادي لكونه إرث حضاري، وإنساني هام له الدور الكبير في الحفاظ على هوية المجتمع .

1- مفهوم الفلكلور وأشكاله:

في الحقيقة نجد أنّ الفلكلور قد عرف العديد من التعريفات التي أعطت له جانباً رسمياً تمكن من خلاله من خوض غمار التأصيل الفكري على كل الأصعدة وقد تم هذا التحول جزئياً عن طريق إعادة تعريف كلمة "شعب: folke" الذي يشير إلى مجموعة عرقية تقليدية ثابتة تتحول في النهاية إلى مفهوم "الجماعة الصغيرة" من الناس⁽⁰³⁾، وعليه نجد الفلكلور يسبح في حيز الثقافات القومية المحلية لكل منطقة ما، فهو يعكس كل التصورات إذن الفلكلور هو حكمة الشعب وأصبح يدل على في الأوساط المختلفة على مدلولين الأول العلم الخاص بالمأثورات الشعبية من حيث أشكالها و مضامينها ووظائفها والثاني المادة الباقية والحية التي تتوغل بالكلمة والحركة والإيقاع وتشكيل المادة تدفع بالثقافة الشعبية للانطلاق نحو تجاوز كل الحدود القومية والمحظورات التي تسيج نفوذها إلى العالمية نحو: (الفنون الشفوية/الفنون المكتوبة/الفنون البصرية)، والنموذج الآتي يصور تلك العلاقة الجدلية بينها:



وبما أنّ الفولكلور قد ساهم بطريقة ما في الدفاع عن التراث الإنساني، وحفظه من الزوال الذي أصاب العديد من جوانبه الفنية والجمالية على مرّ العصور التاريخية، فإنّ "مادة الفولكلور قديمة قدم ثقافة الإنسانية"⁽⁰⁴⁾، وعليه فقد أخذت جلّ تلك الدّراسات العديد من التسميات في البلدان الأوروبية، ومن أشهرها نجد مصطلح "الفولكسكأنده" "voikskunde" لدى البلاد الجرمانية، ومصطلح العادات الشعبية "traditions les popalair" لدى الشعوب اللاتينية إلى أن ارتضى أخيراً مصطلح فولكلور الإنجليزي للدلالة على ذلك الميدان من الدراسة⁽⁵⁾، وغيرها من التسميات المتعددة التي تباينت في التصور والطرح إلى أن تم الاتفاق على مصطلح الفلكلور الذي كان شاملاً لكل الأفكار والرؤى التي تتضمن أشكال التراث قاطبة، غير أنّ هذا المصطلح في دلالته ومعناه قد عرف مفارقات في شموليته للمعنى المطلوب على مستوى كل عالم في الأنثروبولوجيا بجميع أنماطها التي تشكلت عبر الحقب الإنسانية .

1.1- مفهوم الفلكلور:

لقد قدم الفلكلور للأدب الشعبي الكثير من الدلالات التي زادت من قيمة هذا التراث ودوره في الحماية والتوثيق، والباحث في علم الفلكلور لا يكاد يعثر عن مرادف له في المعاجم العربية التراثية، لكونه مصطلح دخيل على الأدب العربي فهو "مصطلح إنجليزي الأصل وضعه عالم آثار إنجليزي اسمه وليام جونز

(W. J. Toms) سنة ست وأربعين وثمانمائة وألف ميلادية (1846م)، ليحل محل التعبير الثقيل الذي كان شائعاً آنذاك ألا وهو "الآثار الشعبية" وكذلك "الآثار الشعبية القديمة"، وهو كلمة مؤلفة من شطرين (FOLK) و (Lore) فيحمل الأول معنى الشعب أو الناس والثاني معنى الحكمة أو المعرفة، فيكون المعنى اللغوي للكلمة: حكمة الشعب أو معارف الناس⁽⁶⁾، كما نجده يدل بشكل مباشر على "دراسة المعتقدات والعادات المأثورة، وكذلك ما كان معروفاً حتى ذلك الوقت - بشكل غامض - بالآثار الشعبية القديمة"⁽⁷⁾، ومع ذلك فقد كان انتقال التراث الشعبي عبر المجتمعات الشعبية تسوده الكثير من الهزات المعرفية التي أسقطت في كثير من الأحيان حلقة وصله مع التاريخ المرتبط بأمة ما، وما سطو المستشرقين ونهبهم للتراث الشعبي للعديد من المستعمرات لدليل كبير على ذلك الجرم العظيم في حق الإنسانية، لكون التراث الشعبي أو الفلكلور هو في النهاية بطاقة هوية مشفرة تحمل ذاكرة ذلك الشعب. وعليه تعددت التعريفات المختلفة للفلكلور، وهي في النهاية لا تخرج عن المعاني الآتية والتي عددها عزام أبو الحمام المطور⁽⁸⁾:

أ- الفلكلور هو بقايا القديم أو ثقافة الموروثات الثقافية.

ب- الفلكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية، ومن العوامل المؤثرة في دفع الاهتمام بعناصر الثقافة المادية استخدام أسلوب العرض بالخرائط في دراسة التراث الشعبي، وذلك من خلال ما يعرف باسم "أطلس الفولكلور"، فهذه الأطالس تتطلب المقارنة بين انتشار أكثر من عنصر من عناصر التراث على اتساع بقعة جغرافية معينة، وذلك ليتسنى تعيين الحدود بين المناطق الثقافية بوضوح وبتقنين كاملين.⁽⁹⁾

ت- ج- الفلكلور هو ديانة متدهورة.

د- الفلكلور يعني الحكايات الشعبية.

هـ- الفلكلور هو ما انتقل معظمه مشافهة.

و- الفلكلور هو الثقافة التي انتقلت مشافهة بشكل عام

ز- الفلكلور هو الثقافة الشعبية، وهذا ما أشار إليه "علماء الإثنولوجيا الأمريكيون ويتضمن قاموس فونك Funk للفولكلور كثيراً من التعريفات المندرجة تحت هذا النوع، مثل تعريفات باسكوم Bascom، وفوستر Foster وليومالا Luomala، وسميث Smith، وفوجلين Voeglin، ووترمان Waterman"⁽¹⁰⁾.

و في النهاية نشير إلى تعريف جامع للفلكلور، وهو مطابق لتوصيات مؤتمر الفولكلور والذي انعقد بمدينة (أرنهيم) بهولندا سنة 1955م، ليدل على المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة التراث الشفوي

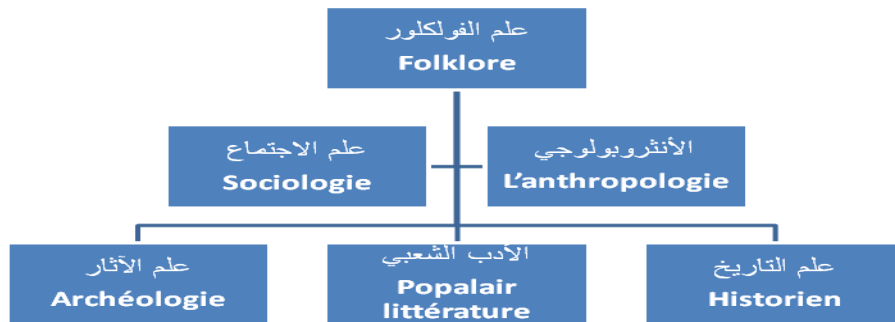
وهو أيضا العلم الذي يدرس هذه المأثورات⁽¹¹⁾، كما أنه مجال الدراسة الذي يستخدم الأساليب، والمناهج العلمية في تناول عناصر راسخة من الثقافة الشفوية والمادية للمجتمعات البائدة والقائمة⁽¹²⁾.

2.1- عناصر الفولكلور:

لقد عدد النقاد والمشتغلين في مجال الأنثروبولوجيا أهم عناصر الفولكلور، وهذه العناصر قد عددها مفهوم الفولكلور وهي كالآتي:

أ- استخدام الأساليب والمناهج العلمية:

في الحقيقة نجد أن استخدام الأساليب العلمية هو السبيل الوحيد للبحث في عالم الفولكلور لكونه عالم يتميز بالغموض والتعدد في فروع كثيرة ساهمت في انتقال العديد من الأشكال المادية واللامادية للفولكلور، وعليه فالباحث مطالب في هذا الوقت باستخدام منهج مناسب للخوض في دراسة هذا الفولكلور اللامحدود، والذي بات في طريقه للزوال والاندثار خاصة بعد تضارب العلوم في أحقية انتسابه لعلم ما لكونه يصل العديد من العلوم ببعضها البعض منها : الأنثروبولوجيا/ علم الآثار/ علم الاجتماع/ علم التاريخ/ الأدب الشعبي/ الجغرافيا... إلخ، وهذه العلوم كل واحد منها يبحث عن أحقيته في دراسة الفولكلور واستغلاله بالشكل الحسن الذي يسهم في إبراز هذا التراث محلياً وعالمياً، وهذه في الحقيقة معضلة وقع فيها الفولكلور وبقي يتأرجح بين مختلف العلوم والمعارف، وهذا الأمر في الحقيقة لا يمكنه منع الباحث من تجنب الوقوع في أخطاء جوهرية مالم يكن ملماً بهذه الأساليب والمناهج⁽¹³⁾ وهذا العمل يتطلب جهداً في الباحث أن يكون موسوعياً بأن يأخذ من كل علم بطرف، والشكل الآتي يشير إلى هذا التفرع الكبير للفولكلور معي جميع العلوم الإنسانية:



ب- الاعتماد على الثقافة الشفوية:

إنّ الاعتماد على الثقافة الشفوية هي ميزة جميع المجتمعات والحضارات الشعبية التي كانت منذ بدايتها على هذه المعمورة تتناقل كل موروثاتها عن طريق المشافهة حتى بعد انتشار عصر التدوين إذ

بقيت المجتمعات الهابطة من بدو ومجتمعات بدائية تتعامل حتى الآن مشافهة في توريث كل أشكال الفولكلور الشعبي لكون "الفولكلور هو دراسة الحياة أو الثقافة، وتحديدًا العناصر الشعبية الراسخة في الحياة والثقافة"⁽¹⁴⁾ بشكل عام، وهذا الأمر نجده راسخًا في ثقافة قبائل الإموهاغ في الصحراء الجزائرية.

ج- الجانب المادي واللامادي:

طبعًا بات التعدد والتنوع للفولكلور شيء طبيعي يجدر بجماع التراث الاحتفاء به لما فيه من زخم نفسي واجتماعي كبيرين، فالهوية الثقافية للمجتمعات الشعبية تبرز بما تتمكله من فلكلور يؤسس لمرجعياتها الفكرية، ويكرس بذلك قوة ثقافية تحدد من خلالها مخرجاتها ومدخلاتها من خلال المهرجانات الفولكلورية، وعليه تعدد أشكال الفولكلور من مجتمع لآخر لتدل دلالة قطعية على التنوع البشري في خصوصية كل أمة بطقوسها وعاداتها التي تميزها عن بقية الأمم الأخرى، ولعل الكثير من المختصين في علم الفولكلور قد وقعت بينهم العديد من التباينات في تحديد أصناف الفولكلور، وعلى أي أساس نصنف هذا فولكلور، ونقبله ونجيزه، والآخر نرفضه ونزيله، فهذا المأزق وقع فيه الكثير من الباحثين الغربيين وحتى العرب منهم، وعليه ترك المجال مفتوحًا في اختيار كل أمة فولكلورها الذي تراه مناسبًا لفكرها وتترك ما يمكن تركه والتخلي عنه تدريجيًا، والجدول الآتي يشير إلى هذه الأشكال بالتفصيل.

أصناف الفولكلور	الأنواع التي تدخل في هذا الصنف
الفولكلور المادي	أ- الشعر الشعبي/ب- القصة الشعبية ج- الأمثال/د- الألغاز/هـ- الملاحم و- الأساطير والخرافات/ز- النكت
	1- الغناء/الموسيقى/الرقص: *- الغناء المصاحب للمناسبات الشعبية: (الزواج/ الختان/ الحج / المولد النبوي/ عاشوراء/الابتهالات الدينية والوطنية). *- الغناء المصاحب للرقص الشعبي. *- الغناء المصاحب للابتهالات الدينية والأناشيد الوطنية. *- آلات الموسيقى الوترية/النفخ/الإيقاع. *- الرقص الشعبي الفردي والجماعي.

<p>1- الألعاب الشعبية:</p> <p>*-القائمة على التنافس: سباق الجمال/ سباق الخيل.</p> <p>*- القائمة على التسلية والترفيه في المواسم والأعياد.</p> <p>*- القائمة على الذكاء والاختبار.</p>	<p>الفولكلور غير المادي</p>
<p>2- الأشغال اليدوية:</p> <p>*- الحرف اليدوية: النسيج/الفخار/الحديد/ الزجاج.</p> <p>*-الأزياء التقليدية/الحلي/ أدوات الزينة والعمارة .</p>	

د- المجتمعات البائدة والقائمة:

فعلا قدمت العديد من المجتمعات الإنسانية العديد من الأشكال الفولكلورية التي ساهمت بشكل مباشر في التعريف بمجتمع شعبي ما من خلال العادات والتقاليد وأشكال الفولكلور المتنوعة التي يمارسها ذلك المجتمع الشعبي، وإذا عدنا إلى تاريخ العديد من الحضارات الإنسانية البائدة وما خلفته من آثار ورموز وطقوس فولكلورية فإننا نجد أن أغلب علماء الآثار قد درسوا مختلف الطقوس والآثار المادية وغير المادية لدى العديد من الحضارات خاصة ما عثر عليه عند الحاضرة الأثرية والسومرية والبابلية في بلاد الرافدين والحضارة الفرعونية في بلاد نهر النيل، والقبائل الأمازيغية في شمال القارة الإفريقية و قبائل التوارق بالصحراء الكبرى الجزائرية، والحضارة الهندية في شمال القارة الأمريكية، و قبائل المايا والأنكا والأستيك في جنوبها، و قبائل الفايكنج والجرمان في شمال القارة الأوروبية، والحضارة اليونانية والرومانية في جنوبها، وحضارة بلاد فارس، و بلاد الهند والسند في القارة الآسيوية، والحضارة العربية الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، وغيرها من الحضارات الإنسانية البائدة، والتي تركت تراثاً فولكلورياً ضخماً منه ماضع واندثر، ومنه مازال يعاد بعثه كطقس فولكلوري متوارث عبر الأجيال الشعبية، ونشير في ذلك إلى الاحتفال مثلاً بعيد رأس السنة الأمازيغية (يناير في اليوم الثاني عشر) من شهر جانفي من كل سنة أمازيغية عند قبائل الأمازيغ كعنوان لانطلاق موسم الفلاحة، وعيد النيروز في شهر (آذار مارس) من كل سنة كرمز للاحتفال بقدم فصل الربيع كما هو عند الحضارة الفارسية قديماً، والاحتفال بعيد عاشوراء في العاشر من محرم من كل سنة هجرية عند المسلمين بشكل عام، وهذا دليل قطعي على قيمة هذا التراث الشعبي وأثره المباشر على الإنسانية.

2- المعالم السياحية والثقافية في منطقة إيليزي:

لقد كانت علاقة الفولكلور بالعلوم الأخرى علاقة تكاملية فالفولكلور نجده شديد الارتباط ببقية العلوم التي كانت تبحث بكل بساطة عن مختلف العلائق الفكرية التي من الممكن أن يحققها الفولكلور من خلال دراسته بهذه العلوم نحو: الأنثروبولوجيا، أو السوسيولوجيا أو الإكيوغرافيا فكان لابد أن تحدد هذه العلوم آلية وتقنية تستند إليها في دراسة الفولكلور دون إخلال منها بماهية هذا التراث المادي وغير المادي من جهة ومحاولة تطبيق التنظير الفكري الذي يقوم عليه العلم الذي يدرس أشكال هذا الفولكلور بشكل مباشر خاصة المعالم السياحية والمعالم الثقافية المكونة للتراث الشعبي، وعليه كان لابد من باحثين مختصين في هذا المجال الدقيق حتى لا يكون خلط أو تشويه للمعارف العلمية أو التقليل من قيمة العلوم المتخصصة، والتي تتقاطع مع الفولكلور في خط واحد.

2-1. المعالم السياحية:

لقد تنوعت علاقة الفولكلور بالتاريخ لكون هذا الأخير قد حفظ كل أشكال التراث المادي وغير المادي من التلف والزوال الذي يمكنه أن ينسف العلاقة التكاملية بينهما، فالفولكلور كما أشار إلى ذلك (ألكسندر كراب) بأنه علم تاريخي لكونه يلقي الضوء بشكل مباشر على ماضي الإنسان، وظواهره ويحاول تفسيرها واستخلاص قوانين التطور والتغير والتفاعل من خلالها⁽¹⁵⁾ وهذا الأمر جعل من هذا التراث يحوي العديد من الصور الفكرية والثقافية التي ساهمت في تطوير الجانب الاقتصادي للعديد من الدول نحو: مصر، الأردن، العراق، المغرب، اليونان، إيطاليا، فرنسا، إسبانيا... إلخ، وأصبحت العديد من تلك المعالم السياحية والثقافية من آثار طبيعية أو صناعية عامل جذب للسياحة الداخلية والخارجية.

أ- التراث الطبيعي:

إنّ العلاقة بين التراث الطبيعي والفولكلور هي علاقة ثنائية تواصلية لها الأثر المباشر وغير المباشر في التأسيس المباشر لمختلف الظواهر الاجتماعية، وهذا من خلال فنّ الترحّل (أدب الرحلات)، وما فيها من نتاج إنساني فاعل، أي بما يحمله من مدخلات ومخرجات ثقافية ونفسية، لقد تقلد الكثير من الناس دور الجامع للتراث الشعبي دون تعلم لكيفية التوثيق أو الحفظ لما يقومون بجمعه من تراث، إذ نجد جميع من يمارسون مهنة جمع التراث أغلبهم من الهواة والمتقنين، وعليه فالجامع "له دور مهم في جمع المادة (...)" ويمكن أن يكون ذا فائدة أكبر مع بعض التدريب⁽¹⁶⁾، ولعلّ هذا الإشكال مازال في العديد من مناطق الجنوب الجزائري خاصة عند قبائل الإموهاغ في الجنوب الشرقي الجزائري، مما يجعل الكثير من الحقائق والموروث الثقافي والفكري الشعبي المادي وغير المادي يختفي تدريجياً من الحظيرة الشفوية لهذا الموروث الإنساني بشكل عام، وتعتبر منطقة إيليزي من بين أكثر المناطق تضرراً من هذا التهميش الذي جعل

العديد من المناطق الأثرية في تاسيلي ناجر تعاني حتى من التشويه للعديد من المعالم الأثرية السياحية، وعلى كل السلطات الجزائرية أن تؤسس وزارة خاصة تسمى وزارة حفظ التراث لمناطق الجنوب الجزائري، وأن تكون لها كل الصلاحيات في التأسيس لأقطاب سياحية في هذه المناطق السياحية لكونها عامل هام لتطوير الاقتصاد الوطني، ومن بين هذه المناطق نذكر :

- 1- التنوع الطبيعي نحو: جبال تيسراس (بايلييزي)، الكثبان الرملية وغروب الشمس بجانت.
- 2- كثرة الرسوم الأثرية إذ بلغت نحو 15000 نقشًا أثرياً من بينها صورة البقرة الباكية والغزال النائم.
- 3- تواجد البحيرات: نحو بحيرة أهرير (بايلييزي)، وبحيرة سات ب (جانت).
- 4- كثرة الكهوف والوديان بمنطقة تاسيلي ناجر من إيلييزي حتى إن أميناس.
- 5- وجود المدن التاريخية: نحو مدينة سيفار (Safar).

ب- التراث الأثري:

قدم علم الآثار للفولكلور دافعاً كبيراً في الحفاظ على كل ما يمكنه من التوثيق الكبير لكل ما يعثر عليه الباحثون الأركيولوجيون من وثائق تاريخية قد تساهم بطريقة ما في الكشف عن الفولكلور الشعبي الذي اندثر، ولم يحفظ، فعلماء الآثار نجدهم يرممون كل ما يجدونه من أشكال مادية أو غير مادية ويخضعونها للتحليل والتوثيق من خلال الفهرسة والتبويب لتلك المواد الأثرية التي يعثرون عليها تدريجياً "إذن فإن علم الآثار من الممكن أن يغذي الفولكلور بالكثير من المنافع مادام يأخذنا إلى الجذور البعيدة من خلال الحفائر واللقى التي يقوم بترجمتها إلى معاني ودلالات ثقافية وسلوكية"⁽¹⁷⁾، وتبقى هذه العلامات كدليل قاطع على التعالقات العلمية من خلال الآثار التي يعثر عليها وتعبّر بصدق عن العديد من أشكال الفولكلور المادي خاصة الرسوم الموجودة على الجداريات والأواني وأدوات العمل والوثائق المخطوطة، كل ذلك يصل علم الآثار بعلم الفولكلور ويجعلهما في تناغم علمي متواصل.

ج- التراث الصناعي (العمراني):

لعلّ التراث الصناعي أو ما بات يسمى بالتراث العمراني أصبح يشكل صورة جديدة لتطور الفكر العمراني عند التوارق بالمناطق الجنوبية خاصة، ويبقى هذا التطور عاملاً مساهماً في نقل هذا التراث من دائرة المحلية إلى العالمية، وما يحمله من مرجعيات عمرانية لتلك البيئة الشعبية، من خلال العلاقة المعرفية بين الفولكلور و الأنثروبولوجيا والجغرافيا بعد أن كانت الأنثروبولوجيا هي الحاضن الأساس لهذا العلم الذي نشأ من رحمها علم الفولكلور الذي انطلق في التخصص بدراسة الشعب موضوعاً للبحث و الدراسة، بينما تخصصت الأنثروبولوجيا بدراسة الثقافة الإنسانية لدى المجتمعات البدائية خارج القارة الأوروبية كالمجتمعات البربرية والقبائل الأفريقية، و قبائل الأمازون والقبائل الهندية التي تسكن الأدغال

والغابات وعلى ضفاف الأنهار، وإذا راح الأنثروبولوجي يدرس جميع نواحي ثقافة (المجتمع البدائي) اختص الفولكلور بدراسة جزء محمد من ثقافة مجتمعاتهم⁽¹⁸⁾، وهذا الأمر نجده قد أسهم بصورة ما في فهم عادات وتقاليد وأنماط عيش تلك الأمم مما سهل طريق استعمارهم بعد أن درس نقاط قوتهم وضعفهم وبذلك تمكن من بسط نفوذه عليهم تدريجياً.

وما بقاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر مدة القرن والنيف لدليل على فهم طرق التحكم في هذا المجتمع وإخضاعه لسيطرته المطلقة، خاصة ما حدث في منطقة الصحراء الكبرى الجزائرية أين فهم الاستعمار الفرنسي نقاط التحكم في قبائل الإموهاغ من أجل إخضاعها لسيطرته بشكل كامل، فكان المستشرقون الذين احتكوا بثقافة تلك المناطق الشعبية خاصة في منطقة إيليزي عامل مهم في نبذ النعرات وإذكاء نار الفتن بين تلك القبائل من أجل التحكم فيها وإخضاعها لسيطرته كما حدث بين الزاوية التيجانية والقادرية من خلافات وفتن حول محاربة الاستعمار.

2-2. المعالم الثقافية:

تعد العلاقة بين الفولكلور وعلم الاجتماع قوية جداً لكونه يهتم ببنية المجتمع ومختلف العلائق التي تربطه بين أفراد المجتمع الواحد، والقوانين التي تسير أنساقها المختلفة، وبما أنّ الفولكلور يدرس بعض تلك الأنساق الفرعية كنسق الآداب الشفوية والمعتقدات والقيم، فإنّ اللقاء حتمي وعميق بين علم الاجتماع والفولكلور، والحقيقة أنّ الفولكلور يضع نفسه في مكان وسط تلتقي فيه الكثير من العلوم الاجتماعية (...). يظل الفولكلور في لقاء دائم مع علم الاجتماع، إن كان من ناحية القضايا والمواضيع التي يهتم بها علم الاجتماع، أو كان في المناهج والأساليب والمدارس النظرية أيضاً التي تتعاطى مع تلك القضايا⁽¹⁹⁾، وهذا ما يجعل من الفولكلور مادة مهمة في التواصل الفكري والعلمي مع العديد من العلوم فهو همزة وصل دائم معها.

أ- الزوايا:

إنّ العلاقة بين علم الفولكلور والدين علاقة جدلية قديمة جداً منذ أن وجد الإنسان على هذه المعمورة وهو يقوم بالعديد من الطقوس العقديّة من أجل التواصل مع الآلهة فهي رمز الخير وطرد للشرّ، ودراسة علم الأديان كاليهودية والمسيحية والإسلام وحتى الديانات الوثنية كالبوذية والكونفوشيوسية والتي قد يكون لها صلة مباشرة بدراسة المعتقدات والقيم والطقوس الموجودة في هذه المجتمعات⁽²⁰⁾، الشعبية، والتي تحمل في طياتها العديد من المعاني والدلالات الطقوسية التراثية لمجتمع شعبي ما.

وعليه تنوعت المعتقدات الشعبية بمختلف أشكالها وأنواعها من معتقدات دينية إلى معتقدات طقوسية متوارثة عبر الأجيال المختلفة في منطقة تاسيلي ناجر لما فيها من التعددية الثقافية والعرقية والدينية

خاصة، وأنّ منطقة إيليزي كانت معبراً اقتصادياً هاماً لقوافل الحجيج والتجار، والتي كانت توفر مورداً مادياً كبيراً لسكان المنطقة تصور في النهاية حالة المجتمعات الشعبية، وما فيها من التعددية الدينية خاصة التنوع في الطرق الصوفية، والتي "انتشرت في المغرب العربي في القرن 13 ميلادي انتشاراً واسعاً فهي في المدن والقرى والأرياف، على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات"⁽²¹⁾، والتي أخذت على عاتقها لواء الحفاظ على التراث الديني المشوه بطقوس ومعتقدات شيوخ الطرق الصوفية الضاربة أطنابها في عمق الصحراء الجزائرية كالطريقة التيجانية، بـ(إيليزي) والطريق القادرية في (جانت) والطريقة السنوسية في (جانت)، وطريقة سيدي موسى بـ (برج عمر إدريس)، هذا الأمر جعلها قبلة لمختلف الطبقات الشعبية التي أصبحت تمثل في النهاية أتباع ومريدي شيخ تلك الطريقة، وانقسم بذلك مجتمع قبائل الإموهاغ إلى فرق وطوائف، ومع تعاقب الكثير من الدوليات ونزوح كثير من القبائل إلى بلاد المغرب الإسلامي خاصة بعد زحف الفاطميين والهلاليين والمرابطين والمرينين والموحدين وصولاً إلى الهيمنة العثمانية على منطقة المغرب الإسلامي، دفع هذا الأمر بالكثير من تلكم الزوايا إلى التحول عن صورتها التعليمية التربوية الإصلاحية إلى ركوب موجة التصوف المذموم المشبع بالخوارق والخزعبلات لشيوخ هذه الزوايا المنتشرة في كامل الصحراء الجزائرية، والتي كان لها الأثر الكبير في تشييت ذهنية أبناء قبائل الإموهاغ وتقسيمهم إلى طوائف وشيع كل يتبع طريقة شيخ زاوية معينة من المريدين خاصة، هذا ما شجع الكثير من الدول التي تعاقبت على احتلال الصحراء الجزائرية بداية من المدّ العثماني، ونهاية بالاستعمار الفرنسي على استغلال هذه الزوايا الصوفية لخدمة أغراضه ومصالحه في المنطقة مقابل منافع مادية تقدم لشييوخها، وهذا ماسمح لهذه الطرق التحكم في رقاب الكثير من روادها ومريديها.

ب- الأهازيج الشعبية: (السببية)

تعدّ الأغاني الشعبية الدينية لها دور هام في تماسك المجتمع الشعبي والتفافه حول العادات والأعراف والتقاليد المحلية للبيئة الشعبية، وبما أنّ الدين الإسلامي جزء من هذه التقاليد، فهو يقود جل تلك الثقافات والتوجهات المحلية للمجتمع دون خلل قد يزعزع استقرارهم وتواصلهم نحو تلك العادات الضاربة بجذورها في ذهنية المجتمع الشعبي، وجلّ تلك الأغاني الشعبية الدينية هي تدور حول طقوس، ومواسم دينية منها موسم الاحتفال بعاشوراء، والمولد النبوي الشريف، وبالسنة الهجرية، والاحتفال والتضرع إلى الأولياء الصالحين، وغيرها من الطقوس الشعبية الدينية التي عرفها الفرد الشعبي الجزائري، و"يتميز هذا النوع من المديح بإيقاعات وتلحين خاص، عادة ما يكون مرتبط بالشعائر الدينية، تارة يأخذ طابع الدعاء والتضرع إلى الخالق ورسوله، وتارة الاستعانة بالأولياء الصالحين والزوايا"⁽²²⁾، وتعمل هذه الأغاني الشعبية

على توثيق الصلة بالجماعة الشعبية المنتمة للعصبية الواحدة خاصة بين قصر زلواز في شمال جانت وقصر الميهان بجنوب جانت، وما فيهما من تباين بين القصرين في التوجه الصوفي بين طريقتين صوفيتين نحو: **الطريقة القادرية** بقصر زلواز و **الطريقة التيجانية** بقصر الميهان بجنوب جانت وما فيهما من تنافس حول مناطق التوسع والنفوذ بصحراء جانت، وتكريس التكافل الاجتماعي و التوجه الطرقي العقدي بين مختلف الطبقات الشعبية دون تمييز بين الفقير والغني منهم، هذا ما يدفع عن بعضهم العديد من الصفات الذميمة التي تُشتت المجتمعات الشعبية، وتصور واقعها الاجتماعي الإيجابي، وما يحمله من هموم، وإشكالات متعددة لمنطية العيش داخل منظومة القبيلة الواحدة، وعليه فالغناء الشعبي عكس في النهاية طبيعة المجتمعات الشعبية، وبشكل خاص في الصحراء الجزائرية عند الإموهاغ.

*** - خاتمة:**

في الختام نجد أنّ علم الفولكلور قد ساهم بشكل مباشر في حفظ الكثير من أشكال التراث الشعبي التي كاد الكثير منها أن يضيع مع مرور الوقت، وعليه كان لابدّ على المؤرخين والمتقنين من العمل المؤسس على صيانة هذا الإرث التاريخي الهام من أجل تفعيل مساهمته في تطوير الاقتصاد الوطني من خلال تأسيس وزارة خاصة بصيانة التراث في مناطق الجنوب الكبير، والحفاظ عليه مستقلة تمامًا عن وزارة السياحة والثقافة لها كامل الصلاحيات في الصيانة والترويج السياحي لهذا الموروث داخليا وخارجيا وتفعيل دور البنى التحتية لاستقبال السياح وجعل من هذه المناطق أماكن للراحة والاستجمام السياحي خاصة في الموسم والأعياد والاحتفالات الشعبية كالسببية، وما يصاحبها من طبوع وأهازيج وأغاني شعبية كالنتدي، والإمزاد، تسيوان، تهيقالت، القناوي...، وغيرها من تلكم الطبوع التراثية، وفي نهاية المطاف يبقى التراث الشعبي له طوقسه ووجهة نظر العديد من الباحثين فيه، والتي يجب أن يقتدي بها كل باحث في هذا التراث الذي يمثل هوية الأمة، وحاضرها ومستقبلها الذي تستشرف من خلاله المتوقع، وغير المتوقع من طوقس غرائبية القول وعجائبية الفعل عبر بوابة التراث الشعبي وأشكاله التعبيرية المادية وغير المادية ليكون موردًا أساسيًا في تطوير الاقتصاد الوطني كبديل عن الذهب الأسود في القريب العاجل.

فهرس الإحالات:

⁽¹⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، القاهرة، مصر، ط2006، 1، ص13.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص21.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص24.

⁽⁴⁾ عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد إنجليزي - عربي، ص348.

- ⁽⁵⁾ يوري سوكلوف: ترجمة حلمي الشعراوي، عبد الحميد حواس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط2، القاهرة، مصر، 2000، ص 14.
- ⁽⁶⁾ أمنة فزاري: مناهج دراسة الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 14.
- ⁽⁷⁾ عزام أبو الحمام المطور: الفلكلور التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017، ص 29.
- ⁽⁸⁾ المرجع نفسه، ص 31، 32.
- ⁽⁹⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 48.
- ⁽¹⁰⁾ المرجع نفسه، ص 22.
- ⁽¹¹⁾ عزام أبو الحمام المطور: الفلكلور التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)، ص 32.
- ⁽¹²⁾ المرجع نفسه، ص 33.
- ⁽¹³⁾ المرجع نفسه، ص 34.
- ⁽¹⁴⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 45.
- ⁽¹⁵⁾ عزام أبو الحمام المطور: الفلكلور التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)، ص 41.
- ⁽¹⁶⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 50.
- ⁽¹⁷⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 47.
- ⁽¹⁸⁾ عزام أبو الحمام المطور: الفلكلور التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)، ص 41.
- ⁽¹⁹⁾ عزام أبو الحمام المطور: الفلكلور التراث الشعبي (الموضوعات، الأساليب، المناهج)، ص 45.
- ⁽²⁰⁾ محمد الجوهري، مقدمه في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 48.
- ⁽²¹⁾ المرجع نفسه، ص 50.
- ⁽²²⁾ صليحة سنوسي: أشكال الأغنية الشعبية في الغرب الجزائري، سلسلة التراث الثقافي رقم 07، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، ط1، 2009، ص 51.